# المحاضرة السابعة

**المغرب في عهد الدويلات المستقلة الثاني (التاريخ السياسي ) :**

**أولا : الدولة الزيرية**

نظير استفادة الفاطميين من خدمات قبيلة صنهاجة عين الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بلكين بن زيري بن مناد عاملا على أشير والمسيلة وتاهرت ، ثم استقدمه إلى المهدية وعيّنه واليا على المغرب ليبدأ عهد الزيريين 361 هـ [1] ، ثم سماه يوسف وكنّاه أبا الفتوح ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة وأمره بان يعيد المغربين الأوسط والأقصى إلى طاعة الفاطميين فسار أبو الفتوح (بلكين) في جيشه فدخل تاهرت ثم تلمسان [2] ثم رجع إلى القيروان ، ليتوجه إلى سبتة لمحاصرتها دون جدوى في 367 هـ ثم يتوجه إلى فاس ويستولي عليها في 368 هـ ثم سجلماسة ثم يغزو أصيلا وبرغواطة وتوفي في 373 هـ .[3]

آل الحكم إلى ابنه أبو الفتح منصور بن بلكين الذي أرسل ابنه لغزو المغرب الأقصى ففشل وقامت في عهده ثورات مثل ثورة أبو الفهم الخراساني الداعي سنة 376 هـ وثورة البهار بن زيري في تاهرت سنة 379 هـ فأفشلها المنصور وتوفي المنصور سنة 386 هـ فخلفه ابنه باديس بن المنصور (عمره 12 سنة) فعين عمه حماد على أشير ، ثم انتزع زيري بن عطية تاهرت 389 هـ من الزيريين ، كما أرسل باديس عمه حماد لمقاتلة الزناتيين سنة 395 هـ نواحي المسيلة وأشير فانتصر حماد ثم لجأ إلى أبي طويل واختط بها القلعة وشيد القصور ودخل في خلاف مع باديس واستقل حماد بالقلعة وخلع طاعة الفاطميين ودعا للعباسيين سنة 405 هـ ثم توجه إلى محاربة عمه في 406 هـ فهزمه وتحصن حماد بالقلعة ثم توفي أمير الزيريين باديس فخلفه ابنه المعز [4] سنة 406 هـ ، وعمره ثمان سنوات ودخل في حرب مع

---

[1] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 55.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 206 .

[3] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 642- 643 .

[4] للاستزادة عن أخبار المعز بن باديس انظر: ابن خلدون : المصدر السابق ، ، ج 6 ، ص 210 وما بعدها .

حماد 408 هـ فانتصر المعز وتحصن حماد ثانية بالقلعة ، ثم وقع الصلح بين المعز وحماد

حيث يقول النويري عن ذلك الصلح (( ولما تمت الهزيمة على حماد، راسل المعز في طلب الصلح واعترف بالخطأ وسأل العفو عنه. فأنفذ المعز من يقف على صحة أمره وصدق طاعته، فعاد بسمعه وطاعته. ورغب في ترك العمل، وأن يعقد له أخوه إبراهيم ما يسكن إليه من العهود والمواثيق التي يطمئن إليها، فيبعث حينئذ بولده القائد أو يصل بنفسه. فحصل الاتفاق، وأرس ابنه القائد إلى المعز. فوصل بعد عود المعز إلى المنصورية، وذلك في النصف من شعبان من السنة. فأكرمه المعز وأحسن إليه. وكتب له منشوراً بولاية المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وزواوة ومقّرة ودكمة وبلزمة وسوق حمزة، وأُعطى البنود والطبول .وانصرف إلى أبيه لأربع خلون من شهر رمضان سنة ثمان وأربعمائة. فلما وصل إلى أبيه أظهر الطاعة. وبقي القائد يتردد إلى المعز)) [5]

كان هذا الصلح الواقع بين الطرفين اعتراف بالدولة الحمادية في القلعة ، ونبذ المذهب الشيعي واعتنق المذهب السني المالكي ثم اضطهد الشيعة فقتل منهم وهرب جزء آخر ، وحرص الفاطميون على استرضاء المعز في البداية ، غير أن المعز قطع التبعية للفواطم العبيديين رسميا سنة 440 هـ ( عذاري وخلدون ) وقيل 443 (المقريزي وتغري بردي) [6] .

بعد خروج المغرب عن طاعة الفاطميين حرضوا عرب بني هلال على غزو المغرب فهزموا المعز في معركة حيدران (قرب قابس) سنة 443 هـ ، وحاصروا القيروان واستولوا عل قسنطينة وباجة وتونس وبونة ، ثم دخل العرب القيروان في 449 هـ وخربوها وفرّ المعز إلى المهدية وقضى بقية أيامه حزينا حتى توفي في 454 هـ ودفن بالمنستير وخلفه ابنه تميم [7] في 454 هـ وواجه عرب بني سليم و منع الهلاليين

---

[5] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 114.

[6] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 646 وما بعدها.

[7] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 669 – 670 .

من الاستيلاء على المهدية وهادن أبناء عمومته الحماديين [8] ، وفي عهد تميم [9] تعرضت افريقية إلى هجمات من أهل جنوة وبيزا سنة 480 هـ واستولوا على المهدية وزويلة وقتلوا الساكنة هناك ، فمنحهم تميم مبلغا من المال مائة ألف دينار واقلعوا عن افريقية لكنهم عاودوا الهجوم سنة 498 هـ لكن أسطول المهدية هزمهم [10] ، وفي سنة 501 آل الحكم إلى يحي بن تميم [11] فواصل غزوات البحر وكان حسن السيرة في رعيته ومات فجأة فخلفه علي بن يحي الذي قضى على التمردات في عهده ( عصيان رافع عامل قابس + تمرد المهدية) ، وفي سنة 515 هـ آل الحكم إلى الحسن بن علي فحل القحط في عهده [12] وكثر الموت واغتنم روجار الفرصة وهجم على المهدية حيث استولى أسطول النورمان على المهدية بكل أريحية فزال حكم الزيريين سنة 543 هـ أما الحسن بن على فقد توجه نحو جزائر بني مزغنة حتى ضمها الموحدون إليهم [13].

**ثانيا : الحماديون بالمغرب الأوسط :**

الحماديون هم شعبة من آل زيري [14] وقد أسس هذه الدولة حماد بن بلكين الذي عينه باديس بن المنصور (عم حماد) على المغرب الأوسط فاستقامت له الأمور وبنى القلعة في 398 هـ وأتم تحصينها كما رفض التبعية إلى الشيعة ونقض البيعة في 405 هـ ودعا للخلافة العباسية[15] .

---

[8] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 57 .

[9] عن أخبار من تولى بعد المعز بن باديس ، انظر: ابن عذاري : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 315 وما بعدها .

[10] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 675 – 677.

[11] عن أخبار يحي بن تميم انظر: النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 131 وما بعدها .

[12] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 57 .

[13] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 681 – 682 .

[14] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 227 .

[15] عبد العزيز شهبي : المرجع السابق ، ص 60 .

وعن بعض أخبار حماد وبنائه للقلعة يقول ابن خلدون : (( و كان المنصور بلكين قد عقد لأخيه حماد على أشير و المسيلة و كان يتداولها مع أخيه يطوفت و عمه أبي البهار ، ثم استقل بها سنة سبع و ثمانين و ثلاثمائة أيام باديس من أخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس و تسعين و ثلاثمائة بالمغرب الأوسط من مغراوة و بني يفرن ، وشرط له ولاية أشير و المغرب الأوسط و كل بلد يفتحه و أن لا يستقدمه فعظم عناؤه فيها و أثخن في زناتة و كان مظفرا عليهم ، و اختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان و تسعين و ثلثمائة و هو جبل عجيسة و به لهذا العهد قبائل عياض من عرب هِلال و نقل إليها أهل المسيلة و أهل حمزة و خربهما و نقل جراوة من المغرب و أنزلهم بها و تم بناؤها و تمصرها على رأس المائة الرابعة و شيد من بنيانها و أسوارها و استكثر فيها من المساجد و الفنادق فاستبحرت في العمارة و اتسعت في التمدن ، و رحل إليها من الثغور و القاصية و البلد البعيد طلاب العلوم و أرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف و الحرف و الصنائع بها و لم يزل حماد أيام باديس هذا أميرا على الزاب و المغرب الأوسط و متوليا حروب زناتة ))[16]

، ودخل الحماديون في قتال مع الزيريين ثم اعترفوا بملكهم [17] ، ولما توفي حماد في 419 هـ خلفه ابنه القائد الذي كان سديد الرأي حسن السيرة وواصل قطيعته للفاطميين وتوفي في 446 هـ فخلفه ابنه محسن الذي حكم تسعة أشهر ثم قتله بلكين بن محمد بن حماد [18] الذي قتل كذلك وزير ابن أخيه محسن وقتل والي بسكرة ثم ناميرت بنت عمه علناس وحارب المرابطين فاستولى على فاس سنة 454 هـ ، ثم قُتل على يد الناصر بن علناس الذي حكم من بعده ونقل العاصمة من القلعة إلى بجاية الناصرية وانتقل إليها في 461 هـ ووصل ملكه القيروان فبايعه أهلها سنة 460 هـ وتوفي في 481 هـ فخلفه ابنه المنصور الذي كان مولعا بالبناء فأسس جامع بجاية وخطط المباني وشيد القصور (المنار ، الكوكب ، السلام ...)

---

[16] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 227

[17] النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص ص 113 – 114 .

[18] المصدر السابق ، ج 24 ، ص 117 .

وحارب المرابطين وحاصر تلمسان ثم تركها صلحا وتوفي 498 هـ فخلفه ابنه باديس الذي حكم سنة واحدة وتوفي فخلفه أخوه العزيز الذي هاجمته عرب بني هلال فتولى الحكم بعده ابنه يحي سنة 515 هـ وكان مستهتراً بالحكم فسقطت الدولة في عهده سنة 547 هـ وتمكنت جيوش الموحدين من دخول بجاية سنة 547 هـ ثم القلعة [19].

**ثالثا : المرابطون في المغرب والأندلس :**

ينتسب المرابطون إلى قبيل صنهاجة على رواية البكري الذي يقول عنهم كذلك بأنهم رحالة في الصحراء وليس يعرفون حرثا ولا زرعا ولا خبزا، إنما أموالهم الأنعام وعيشهم من اللحم واللبن وينفذ عمر أحدهم وما رأى خبزا ولا أكله إلا أن يمر بهم التجار فيطعمونهم الخبز ويتحفونهم بالدقيق وهم على السنّة مجاهدون [(20)].

واسم المرابطين مشتق من كلمة المرابطة ومعناها المسلمون الورعون المنقطعون للعبادة في الرباط ، وقد أقام الفقيه عبد الله بن ياسين قرب حوض نهر السنغال رباطا للعبادة وحفظِ القرآن وتفسيره [(21)] ، ودخل معه سبعة نفرٍ من جدالة وأقام في أصحابه يعبدون الله تعالى [(22)] ، وكان هذا الرباط النواة الأولى

---

[19] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 684 – 685 .

[20] - أبو عبيد الله البكري : المصدر السابق ، ص 164. ويواصل البكري حديثه بوصف قبيلة جدالة بقوله : << وخلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بني جدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينه احد وهذه القبائل هي التي قامت بعد الأربعين وأربعمائة ، بدعوى الحق ورد المظالم وقطع جميع المغارم وهم على السنة متمسكون بمذهب الإمام مالك >>.

[21] - سعدون نصر الله : دولة المرابطين في المغرب والأندلس – عهد يوسف بن تاشفين - ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985 ، ص 26.

[22] - السلاوي : المصدر السابق، ج 2 ، ص 8 .

للدولة ، ويعرف المرابطون كذلك باسم الملثمين حسب عديد المصادر مثل ابن الأثير وابن عذارى وصاحب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية[23] .

ابتدأ أمر المرابطين كحركة دعوية تعلم الناس الإسلام الصحيح ولما كثر أتباع الفقيه ابن ياسين خرج رفقة أتباعه ومنهم الأمير يحي بن عمر اللمتوني الذي توفي في إحدى المعارك سنة 447 هـ فخلفه أخوه أبو بكر بن عمر ومضت جيوش المرابطين فاتحة عدة مدن مثل درعة ، السوس ، اغمات ، تادلا ، كما جاهدوا برغواطة التي خرجت عن تعاليم الإسلام وابتدعت شرائع أخرى ، وقد استشهد عبد الله بن ياسين أثناء هذه الحروب 450 هـ [24]

خرج أبو بكر بن عمر لفض النزاع القائم بين لمتونة ومسوفة في الصحراء فتولى قيادة الجيش يوسف بن تاشفين واشتهر أمره وبنى مدينة مراكش سنة 454 هـ [(25)] (الاستبصار 459 ، ابن عذاري صاحب الحلل 462 هـ ) بعد أن إشترى موضع بنائها [(26)] ، وتوسع يوسف في المغرب الأقصى ثم المغرب الأوسط حتى جزائر بني مزغنة ثم عاد يوسف إلى مراكش [27] ،

وقد ذكر لنا الصفدي بعض خصال يوسف بن تاشفين بقوله : (( كان أحد ملوك البلاد، دانت بطاعته العباد ، واتسعت ممالكه وطال عمره، وقل أن عمر أحد من

---

[23] - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 6 ، ص 241 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق ، ج 8 ، ص 327 وما بعدها ؛ ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 4 (قسم المرابطين ) ، ص 07 ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدر البيضاء ، 1979 ، ص 19 .

[24] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص ص 695 – 696 .

[25] -ابن خلدون: العبر، ج 6، ص245؛ ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 138 ؛ السلاوي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 22 .

[26] - ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص132.

[27] عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ج 2 ، ص 715 .

ملوك المسلمين والإسلام كما عمّر... وكان يحب العفو والصفح وفيه عدل وخير وكان معتدل القامة، نحيف حفيف العارضين ، دقيق الصوت ، حازما ، سائسا ))[28]

ثم استغاث به مسلموا الأندلس فلبى النداء وعبر إلى الأندلس بجيوشه وهزم الفونسو السادس (تذكره المصادر العربية باسم الاذفنش ) في وقعة الزلاقة 479 هـ وبعدها ضم الأندلس لملكه وقضى على ملوك الطوائف [29] .

توفي يوسف بن تاشفين سنة 500 هـ فخلفه ابنه علي بن يوسف وكان ورعا تقيا محبا للعلماء آخذا بمشورتهم متواضعا لرعيته فأحبه الناس ومالوا إليه [30]

وقد وصف الشاعر عبد العزيز الملزوزي القريب من عصر المرابطين ( ق 7 هـ ) الأمير المرابطي علي بن يوسف بقوله [31] :

لما أذيق يوسف كاس الردى قام على نجله قطب النـدا

ثم اقتدى بفعل يوسف أبيه وقرب الدهر له مـا يبتغيه

فمهد العلياء والبـــــلادا وبذل الطارف والتـــــلادا

وشيد البنيان في مـــراكش قبل ابتداء الحرب والتناوش

وبقيت آثاره في الحـــضره في وقتنا هذا تبين قـــدره

وقد اخذ الامير علي بن يوسف على عاتقه م جاهدة النصارى في الأندلس فانتصر في معارك مثل اقليش 501 هـ [32] وفحص البكار سنة 528 هـ [33] وانهزم في

---

[28] الصفدي: الوافي بالوفيات ، تحقيق : احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، ط 1 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2000، ج29، ص73 .

[29] عبد العزيز شهي : المرجع السابق ، ص 68 .

[30] - النويري : المصدر السابق، ج24، ص 150.

[31] عبد العزيز الملزوزي : نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1963 ، ص ص 53 – 54

[32] ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 160 .

[33] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 91 .

أخرى مثل موقعة القلاعة سنة 523 هـ [34] ، غير أن عهده عرف عدة ثورات وتمردات أضعفت الدولة وأنهكتها مثل ثورة المعاهدين النصارى سنة 519 هـ [35] وتمرد والي فاس سنة 500 هـ [36] ، لكن ثورة الموحدين التي بدأها المهدي بن تومرت وأكملها عبد المؤمن بن علي الكومي هي التي عصفت بدولته فقد توفي على بن يوسف سنة 537 هـ وخلفه ابنه تاشفين الذي تقلد الحكم في ظروف عصيبة فقد تفاقمت الثورات والتمردات خاصة ثورة الموحدين وتوفي 539 هـ [37] ثم بايع الناس ابنه إبراهيم بن تاشفين غير أن عمه إسحاق بن علي رفض هذه البيعة ودعا لنفسه ووقع الخلاف والتناحر بينهما مما أضعف أمر دولتهم التي سقطت على يد الموحدين سنة 541 هـ [38] .

---

[34] ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص 154 .

[35] مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 91 .

[36] ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 77 .

[37] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام - فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام - ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ص ص 247 – 248 .

[38] مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص 135 .